﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ [المائدة: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين ذكر الأحكام التَّعبُّديَّة، وبين الالتزام بميثاق الله وشكره

لَمَّا ذكَر اللَّه تعالى بعضَ الأحكامِ الشَّرْعِيَّةِ في الآياتِ السَّابِقةِ؛ أرْدَفَه بما يُوجِبُ على عِباده القَبولَ والإذعانَ، وذلك لِكَثْرة نِعَمِه سبحانه عليهم، ولأنَّ كثرةَ النِّعَمِ تُوجِبُ على المُنعَم عليه الاشتغالَ بخدمةِ المُنعِم، والانقيادَ لأوامِرِه ونواهيه، كَما أنَّ الميثاقَ الَّذي واثقَ اللَّه به عِبادَه؛ سببٌ مُوجِبٌ للانقيادِ للتَّكاليفِ، والتَّعبيرُ بالميثاق هنا يربطُ آيةَ الوضوء بما قبْلها من تحريمٍ و تحليلٍ، لدخولِها جميعًا في سلْكٍ واحدٍ هو الوفاءُ بالعهودِ أو العقودِ الَّذي بدأتْ به السُّورة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾.

❁ شَرْحُ المُفرداتِ:

1) ﴿نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾: النِّعمة: اليد، والصَّنيعة، والمنَّة، وما أنعم به عليك، وكذلك النُّعمى، فإن فتحت النُّون؛ مددت، فقلت: النَّعماء، والنَّعيم مثله، وفلان واسع النِّعمة، أي: واسع المال، وقولهم: (إن فعلت ذاك فبها ونعمت): يريدون نعمت الخصلة، والتَّاء ثابتة في الوقف[1]، وَقوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر: 8]، أَي: تُسألون يَوْم الْقِيَامَة عَن كلِّ مَا استمتعتم بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَجمع النِّعْمَة: نِعَمٌ وأَنْعُمٌ كشدَّة وَأَشُدٌّ، حَكَاهُ سِيبَوَيْهِ، قَال النَّابغة:

فَلَنْ أَذْكُرَ النُّعْمانَ إلَّا بِصَالحٍ***فإنَّ لَهُ عِنْدِي يُدِيًّا وأَنْعُما[2].

والتَّنَعُّم: التَّرفُّه وَالاسْم: النِّعْمَةُ، ونَعِمَ الرَّجل يَنْعَمُ ويَنْعِم،

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (نعم).
(2) ابن منظور، لسان العرب: 3/227.

وَقَالَ ابْن جنِّي: نَعِمَ فِي الأَصْل: ماضي يَنْعَمُ، ويَنْعُمُ فِي الأَصْل: مضارع نَعُمَ، ثمَّ تداخلت اللُّغتان[1].

2) ﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾: الميثاقُ: عقدٌ مؤكَّدٌ بيمين وعَهْد، "والميثاق، والموثق، كمجلس: العهد، صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: 81]، أي: أخذ العهد عليهم: بأن يؤمنوا بمحمَّد ﷺ وأخذ العهد بمعنى: الاستحلاف، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 66]، أي: ميثاقًا، جمع: مواثيق على الأصل، ومياثيق على اللَّفظ[2]، قال الشَّاعر:

فإنْ شِئْتَ كانَتْ ذِمَّةُ اللهِ بَيْننا***وأَعْظَمُ مِيثاقٍ وعَهْدُ جِوَارِ[3].

3) ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: وهي أسرار النُّفوس وخباياها، أو الضَّمائر والنِّيَّات[4]، واسْتَشْهد صَاحب الْكَشَّاف عِنْد قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنفال: 43]، على أَنَّ (ذَات) مؤنَّث (ذُو)، وَهُوَ مَوْضُوع لِمَعْنى: الصُّحْبَة؛ لأَنَّ اللَّبن يصحب الْإِنَاء، والمضمرات تصْحَب الصُّدُور، قَالَ: ذَات الصُّدُور: مضمراتها[5]، وكما يقال للحال الَّتي بين النَّاس: ذات البين، يقال للأسرار: ذات الصُّدور[6].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أمر بذكر نعمة الله وميثاقه الغليظ وبتقوى العليم بذات الصُّدور

يأمرُ الله تعالى في هذه الآيةِ المباركةِ عبادَه المؤمنين المُوَحِّدين، بذِكْر نعمةِ الله عليهم بإرسالِ خيْرِ رُسلِه ﷺ لهم، وإنزالِه القرآنَ الكريمَ عليه، والَّذي فيه هُداهُم وسعادتُهم، ويأمرُ سبحانه عبادَه بأن يتذكَّروا عهدَهم لله تعالى ولرسولِه ﷺ على السَّمع والطَّاعة، ثمَّ يأمرُهم الله تعالى باجتناب نواهيه، وتنفيذِ أوامرِه، فإنَّه سبحانه

(1) ابن سيده، المحكم: (نعم).
(2) الزَّبيديّ، تاج العروس: (وثق).
(3) الشّيبانّي، الجيم: 1/61.
(4) أحمد مختار، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة: (صدر).
(5) البغداديّ، خزانة الأدب: 11/440.
(6) المُطَرِّزِيّ، المغرب في ترتيب المعرب: (بين).

مُطَّلِعٌ على عبادِه، رقيبٌ عليهم، وهذا حَرِيٌّ بأن يراقِبَ المسلمُ رَبَّه في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

سرُّ إفرادِ النِّعمِ في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾:

التَّذكيرُ بميثاقِ السَّمعِ والطَّاعةِ لله تعالى في المَنْشَط والمَكْرَه

المخاطَبُ في الآية الكريمة هُم المؤمنون، والأمرُ هنا للامتنان، فقد طلبَ الله تعالى مِن عبادِه المُوَحِّدين المؤمنين أن يتذكَّروا أمرين: نعمتَه عليهم، وعهدَه المُؤَكَّدَ الَّذي أخذه عليهم، "فالآية الكريمة سائرة على هذا النَّسق البيانيِّ الرَّائع، والأمر في الآية لطلب تذكُّر أمرين جليلين، وهما نعمة الله تعالى الَّتي أنعمها على المؤمنين، وهي آلاء جليلة عظيمة، وتشمل نوعين من النِّعم: عامَّة وخاصَّة"[1].

أمَّا نِعْمتُه العامَّةُ؛ فتَعُمُّ جميعَ خَلْقه: مؤمنَهم وكافرَهم، ومنها نِعمةُ الوجودِ والعقلِ وتسخيرِ الكَوْنِ لهُم، وأمَّا نِعْمَتُه الخاصَّةُ، والمرادةُ هنا؛ فهي نِعْمَةُ الهداية للإسلام، وكَفى بها نِعْمةً، وتِلْكَ خاصَّةٌ بالمؤمنين، وتَتَوَلَّد مِن نِعْمة الله الواحدةِ ما لا يُحصَى مِنَ النِّعم؛ ولَعَلَّ هذا مِن أسرار العُدولِ عنِ التَّعبير بالجمع (نِعَم) إلى المفرد ﴿نِعۡمَةَ﴾، كما أُفْرِدَتِ النِّعْمَة، ولم تُجْمَع؛ "لئلَّا يُظَنَّ أنَّ الغرضَ تِعْدادُها، لا الحثُّ على شُكْرِها، بِتَأمُّلِ أنَّ هذا الجِنْسَ منَ النِّعَم، لا يقدرُ عليه غيرُه سبحانه"[2]، كما لم تُجْمَع أيضًا؛ "للإشعار بعِظَمها مِن غير جِهَة تضاعُفِها، ولأنَّ جُمْلَةَ النِّعَم نِعْمةٌ على طريقة الجِنْس، كما أنَّ جملةَ الماء ماءٌ، وجملة المنافعِ منفعةٌ"[3].

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/2054.
(2) البِقاعي، نَظْم الدُّرَر: 6/39.
(3) ابن الجَوْزي، زاد المسير: 2/306، والواحديّ، البسيط: 7/288.

الذِّكر في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾، بمعنى: الاستحضار، لا الحفظ في الذَّاكرة:

استحضار تعظيم المُنعم باطِّراد من ذكر نِعَمِ الله المُراد

الذِّكر: هو حفظ الشَّيء أو استحضاره، فإذا كان حفظ الشَّيء، فهو حفظ لذاته، لكنَّ الاستحضار يكون لمعنى الشَّيء؛ لذلك هناك فرق بين حفظ الشَّيء واستحضار الشَّيء، هذا هو معنى الذِّكر[1]، وعليه فالذَّاكرة تتذكَّر، أي: تستحضر المعاني الَّتي قد تختفي في الحافظة، ولا شيء يضيع في الحافظة أبدًا، وهو من بديع صنع الله في معجزة خلق الإنسان، بحيث إذا جاء الاستدعاء؛ طفت المعاني على السَّطح، كأنَّ انطباعات الإنسان في نعم الله لا تُنسى أبدًا، وهي موجودة عند الإنسان، ولكنَّها تريد من الإنسان أن يستدعيها من الحافظة ويطلبها[2].

عِلَّةُ إضافةِ النِّعْمةِ إلى الله تعالى في قوله: ﴿نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾:

التَّذكيرُ بنِعْمَةِ الله والميثاقِ للقيامِ بحقِّهما في معاملة النَّاسِ

أُضيفتِ النِّعْمةُ إلى الله تعالى في قوله: ﴿نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾؛ لتشريفِ النِّعْمةِ وتفخيمِها وتعظيمِها، بانتسابِها إلى الله تعالى المُنْعم، وفي الإضافة تخصيصُ ذلك الانتسابِ بالله؛ ليزيدَ الإحساسُ بفضلِ المُنْعِم سبحانه، وهي إضافةٌ تستجلِبُ الشُّكرَ ممَّن يُحسنُ استقبالَ النِّعم بالشُّكرِ والامتثالِ، فالله تعالى يأمر عباده "بذكر نعمه الدِّينيَّة والدُّنيويَّة بقلوبهم وألسنتهم، فإنَّ في استدامة ذكرها داعيًا لشكر الله تعالى ومحبَّته، وامتلاء القلب من إحسانه، وفيه زوال للعجب من النَّفس بالنِّعَم الدِّينيَّة، وزيادة لفضل الله وإحسانه[3].

دلالة الخطاب بالذِّكر مع أنَّ النِّعم ماثلة للعيان، لا تقتضي النِّسيان:

ويُشْعِرُ قولُه تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بِنِسْيان نِعْمةِ

(1) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 5/2963.
(2) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 5/2965.
(3) السَّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن: 1/224.

اللّه، فكيفَ يُعقلُ نسيانُها مع أنَّها متواترةٌ على عبادِه في كلِّ وقت؟ ويُجابُ عن ذلك بأنَّ تلك النِّعمَ الإلهيَّةَ لكثرتِها وتعاقُبِها صارت كالأمرِ المُعتادِ، فصارت لغلبةِ ظهورِها وكثرتِها سببًا لوقوعِها في محلِّ النِّسْيانِ[1]، والإنسان بطبعه ينسى سوابغ النِّعم عليه، ويكفر بالنِّعم وإن تواردت؛ لأنَّ من طبعه النِّسيان، ومن دأبه الكفران، قال تعالى واصفًا حال جنس الإنسان مع النِّعم، فخاطبهم بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم: 34]، واللّه يعاقب كلَّ كفَّار بالنِّعمة، وكلَّ كفور بالملَّة، فتكون عاقبة أمره خسرًا، وقد قال الشَّاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا***فَإِنَّ المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ

وَدَاوِمْ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الإِلَهِ***فَإِنَّ الإِلَهَ سَرِيعُ النِّقَمْ[2].

المعاصي تزيل النِّعم، ومن جحد نعمة الله؛ فقد ظلم

دلالة المواثقة للميثاق في قوله: ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾: هذا هو الأمرُ الثَّاني الَّذي ذَكَّرهم اللّه تعالى به، ومعنى المُواثقة: المُعاهدةُ الَّتي قد أُحْكِمَت بالعَقْد على ثِقَة[3]، وَالَّذي عَلَيْهِ الجُمْهُورُ منَ المُفسِّرين كابن عبَّاس - ﷺ - هو العَهْدُ وَالميثَاقُ الَّذي جَرَى لَهُمْ مع النَّبيِّ ﷺ على السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ في المَنْشَطِ والمَكْرَه؛ إذْ قَالُوا: سَمِعْنَا، وَأَطَعْنَا، كَمَا جَرَى لَيْلَةَ العَقَبَةِ وَتَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَأَضَافَهُ تَعَالَى إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10][4]، والمعنى: "واذكروا - أيُّها المؤمنون - نعمةَ اللّه عليكم، بهدايتِكم للإسلام الَّذي ارتضاه لَكُم، وعَهْدَه الَّذي عاهدَكم به؛ إذْ بايعتُمْ رسولَه محمَّدًا ﷺ على السَّمْع

بيعة رسول الله ميثاق لا يجوز نقضه، ولا يصحُّ نكثه

(1) الرَّازي، مفاتيح الغيب: 11/179.

(2) البيتان منسوبان إلى الإمام علي: (ﷺ)، وقيل: إنَّها لأبي الحسن الكنديِّ.
ينظر: القزوينيّ، مختصر شعب الإيمان للبيهقيّ، ص: 66، وفي أدب الدُّنيا والدِّين للماوردي: أنَّهما لعبد الله بن المبارك، ص: 40.

(3) ابن منظور، لسان العرب: (وَثِق).

(4) القُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 6/108.

والطَّاعة له، في المَنْشَطِ وَالمَكْرَه؛ إذْ قُلْتم: سَمِعْنا ما قلتَ لنا، وأخذتَ علينا مِنَ المواثيق، وأطعناك فيما أمرتَنا به، ونهيتَنا عنه... وكان التَّذكيرُ بهذين الأَمْرَين؛ ليقوم المؤمنون بحقِّهما فيما يتعلَّقُ بمعاملة الآخر، وفي علاقاتهم بالنَّاس من حيث إقامةُ العدالةِ لذات الله تعالى، لا يريدون إلَّا وجهَه الكريمَ، ولِيكونَ القِسْطُ والميزانُ أساسَ أعمالهم"[1].

التَّقْييدُ بالظَّرْفِ ﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وفائدَتُه:

دلالــة إضــافَـةِ الميثاقِ إِلَى الله مَعَ صُـدُورِهِ عَنِ النَّبِيِّ الأَوَّاه

يُذَكِّر الله تعالى عبادَه المؤمنين بعهدِه المؤكَّد الَّذي أخذه عليهم، وجاء قولُه: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ظرفًا لقوله: ﴿وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾، أو لمحذوفٍ مقدَّرٍ وقعَ حالًا مِنَ الضَّمير المجرور في ﴿بِهِۦٓ﴾، أو من ﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾ أي: كائنًا وقتَ قولِكم: سمعْنا وأطعْنا[2]. وفائدةُ التَّقييد بالظَّرف: "تأكيدُ وجوبِ مراعاتِه بتذكُّر قَبولِهم به، وإذعانِهم له، وتعهُّدِهم بالمحافظة عليه، وهو الميثاقُ الذي أخذه سبحانه على المسلمين حين بايعَهم رسولُ الله ﷺ على السَّمْعِ والطَّاعةِ في حال العُسْر واليُسْر، والمنْشَط والمكْرَه"[3]، وإضافَةُ الميثاقِ إِلَى الله تَعالى مَعَ صُدُورِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ "لِكَوْنِ المَرْجِعِ إِلَيْهِ، كَما نَطَقَ بِهِ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10]"[4]، وأيضًا للتَّأكيدِ على مكانةِ النَّبيِّ ﷺ عند رَبِّه، وأنَّ العَهْدَ معه عَهْدٌ مع الله تعالى.

دلالةُ الأمرِ وغرضُه في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

الــعُــدولُ عــنِ الإضــمــار إلى الإظـهـار لِتَرْبِيَةِ المَهابَةِ وتَعْلِيلِ الحُكْمِ وتَقْوِيته

والأمرُ في قولِه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ للتَّحذير مِن نِسْيانِ نِعْمَةِ الله تعالى ونَقْضِ ميثاقِه، أوْ في كُلِّ ما تَأْتُونَ وما تَذَرُونَ، فَيَدْخُلُ فِيهِ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2056.
(2) السَّمين، الدُّر المَصون: 4/217.
(3) أبو السعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/11.
(4) الآلوسّي، روح المعاني: 6/82.

ما ذُكِرَ دُخُولًا أوَّلِيًّا، والتَّقوى هنا: "هي لزوم الشَّريعة والقيام بها، عقيدة وعبادة وقضاء وأدبًا"[1]، والمعنى: "واتَّقوا الله وراقبوه في كلِّ ما تأتون وما تذرون، وصونوا أنفسكم عن كلِّ ما يكرهه لكم، فإنَّه - سبحانه - عليم علمًا تامًّا بخفيَّات الأمور الكامنة في الصُّدور، وبكلِّ ما يظهره الإنسان ويبطنه، وسيحاسبكم يوم القيامة على أعمالكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"[2]، وعليه؛ فالمقام يتناسب مع التَّذكير بالتَّقوى؛ تلاؤمًا مع التَّذكير بالنِّعمة، والتَّحفيز على حفظ الميثاق مع الله ورسوله.

دلالة الاعتراض التَّذييليّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

الجملةُ وَعِيدٌ وتحذيرٌ من نسيان نعمةِ الله تعالى، ونقضِ ميثاقه

الجُمْلَةُ اعْتِراضٌ تَذْيِيلِيٌّ، وتَعْلِيلُ الأمْرِ بِالاتِّقاءِ، وإظْهارُ الِاسْمِ الجَلِيلِ في مَوْقِعِ الإضْمارِ؛ لِتَرْبِيَةِ المَهابَةِ، وتَعْلِيلِ الحُكْمِ، وتَقْوِيَةِ اسْتِقْلالِ الجُمْلَةِ"[3]، وقوله: ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، أيْ: بِسَرائِرِ الصُّدُورِ مِنَ الخَيْرِ والشَّرِّ، والجملةُ وَعِيدٌ وتحذيرٌ من نسيان نعمةِ الله تعالى، ونقضِ ميثاقه، وتأكيدُ علمِ الله بسرائر القلوبِ يبعثُ على تصحيحِ النِّيَّات، وإخلاصِ التَّوجُّهِ لله تعالى، على ما فيه من تأكيدِ التَّحذيرِ السَّابقِ، وتأسيسِ تحذيرٍ جديدٍ منَ المحاسبةِ المُترتِّبةِ على العلم، وكلُّ هذا يصبُّ في التَّأكيدِ على تذكُّرِ نعمةِ الله وميثاقِه على السَّمعِ والطَّاعةِ، والامتثالِ والانقيادِ.

أثر المجاز المرسلِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

الصُّدور أعمُّ منَ القلوبِ فيما تَنطوِي عليه من فكر وأحاسيس

وفي ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ مجازٌ مرسلٌ علاقتُه محليَّة؛ لأنَّ المقصودَ (القلوبُ)، والصُّدورُ أوعيةٌ لها، ومحلٌّ لوجودها، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجّ: 46]، وإنَّما آثرَ

(1) الجزائريّ، أيسر التفاسير: 1/601.
(2) طنطاويّ: التفسير الوسيط: 4/71.
(3) أبو السّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 3/11.

ذكرَ الصُّدور؛ لأنَّها أعمُّ منَ القلوبِ فيما تَنطوِي عليه من تفكُّرٍ وأحاسيسَ، وقد جاء في المفردات، وقال بعضُ الحكماء: حيثُما ذَكرَ اللَّه تعالى القلبَ، فإشارةٌ إلى العقلِ والعلم، نحو: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾ [ق: 37]، وحيثُما ذَكرَ الصَّدرَ؛ فإشارةٌ إلى ذلك وإلى سائرِ القُوى منَ الشَّهوةِ والهَوى والغضبِ ونحوِها[1]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥﴾ [طه: 25] سؤالٌ لإصلاحِ تلك القُوى.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الميثاق والعهد:

يُقالُ: وثقتُ به، أي: اطمأننتُ إليه، ومنها: الشَّدُّ، وربطُ شيئين، ومنها ربط الكلامين ربطًا موثَّقًا، ومنه هذه الكلمة السَّامية: ميثاق اللَّه تعالى، وهي تتضمَّن معنى التَّشديد في العهد؛ لأنَّه مأخوذ مع اللَّه ﷻ، وأيُّ عهد أقوى وأوثق من عهد يكون بين العبد والرَّبِّ؟ ويتضمَّن ميثاق اللَّه تعالى، معنى: الاطمئنان والثِّقة؛ لأنَّ الاعتماد فيه على اللَّه ﷻ وهو المعاذ الَّذي يعاذ به، والملجأ الَّذي يلجأ إليه[2]، و(الميثاق): هو ما وثِّق من العهود بيمين اللَّه أو غيره، و(الـ) فيه للعهد، وقد ذكر اللَّه أنَّه أخذ الميثاق على بني إسرائيل، وهو ميثاق اللَّه تعالى الَّذي حمله الأنبياء إليهم، ولكنَّهم لم يلتزموا به[3]، والميثاق عقد مؤكَّد بيمين وعهد، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: 81]، وقال: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾، [الأحزاب: 7]، وقال: ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ١٥٤﴾ [النِّساء: 154][4]، والمواثقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [المائدة: 7][5]، وتواثقوا على كذا، تعاهدوا عليه، قال كعب بن زهير:

لِيُوفُواْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ تَوَاثَقُوا***بِخِيفِ مِنًى، وَاللَّه رَاءٍ وَسَامِعُ[6].

وأمَّا العهد: فهو الموثق، ووضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهَّد، كالقول والقرار، واليمين

(1) الكفويّ، الكليات: (القلب).
(2) أبو زهرة: زهرة التّفاسير: 4/2070.
(3) أبو زهرة: زهرة التّفاسير: 8/3930.
(4) الأبياري، الموسوعة القرآنيَّة: 8/580.
(5) الجوهريّ، الصّحاح: 4/1563.
(6) الزَّمخشريّ، أساس البلاغة: 2/319.

والوصيَّة، والضَّمان والحفظ، والزَّمان والأمر، والعهد: توحيد الله، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ [مريم: 87][1]، وانطلاقًا من ذلك كلِّه، فإنَّ الميثاق عهدٌ، ولكنَّهُ يُوثَّق بما يُؤكِّده ويلزمُه في الذِّمَّة، وكلاهما واجب الوفاء، إلَّا أنَّ الميثاق مشدَّد فيه أكثر من العهد.

الصُّدُور والقلوب:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤٣﴾ [الأنفال: 43]، أي: إنَّه ذو علم بما في صدور خلقه، وما تنطوي عليه ضمائرهم[2]، ومعنى ذات الصُّدور: أسرار النُّفوس وخباياها، وكذلك الضَّمائر والنِّيَّات[3]، وقد قيل: "إنَّ قلوبَ العباد أوعيةٌ لما أُودِعت من العلوم، وظروفٌ لما جُعل فيها من المعارف بالأمور"[4]، "وأمَّا لفظ القلب، فيطلق في القرآن بمعنى: النَّفس المدركة، والرُّوح العاقلة الَّتي يموت الإنسان بخروجها منه، قال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: 10]، أي: الأرواح، لا هذه المضغ اللَّحميَّة الَّتي لا تنتقل من مكانها... وقد يعزى إلى القلب، ويسند إليه ما هو من أفعال النَّفس أو انفعالاتها الَّتي يكون لها أثر في القلب الحسِّيِّ، كقوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال: 2]، وقوله: ﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ﴾ [آل عمران: 156]، وقوله: ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾ [التَّوبة: 15][5]، وقال إبراهيم بن عرفة: "كلَّما ذكر الله - جلَّ وعزَّ - في القرآن من العمى، فذمَّه؛ فإنَّما يريد به عمى القلب، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحجُّ: 46][6]، والخلاصة: أنَّ الصُّدور تعني في القرآن النِّيَّات والضَّمائر المطويَّة في الجوانح، وأنَّ القلوب تطلق في القرآن بمعنى: النَّفس المدركة، والرُّوح العاقلة، وأنَّه يقال: (تعمى القلوب)، ولا يقال: (تعمى الصُّدور).

(1) الكفويّ، الكليَّات: (العهد).
(2) مكيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 10/6589.
(3) أحمد مختار، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة: 1/801.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 1/258.
(5) درويش: إعراب القرآن وبيانه: 7/599.
(6) مكيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 7/4714.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»